# محاضرة د. هيثم الخياط
# بتاريخ: 28-9-2004
# بعنوان لغة القرآن

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، نحتفل اليوم بعيد الجهاد أو عيد الانتفاضة بدخول السنة الرابعة للانتفاضة التي زعم السيد شارون أنه سينهيها في مائة يوم وقد مرّت مائة وبعدها مائة وبعدها مئات وما زال يشعر بالخزي والعار ولا يستطيع أن يتحرك قيد أُنملة، هذه الانتفاضة المباركة التي كان لها آثار مهمة جداً على الصعيد الواقعي، فبالدرجة الأولى أثبتت عجز القوة عن مواجهة الإصرار الفلسطيني والمصابرة الفلسطينية والمرابطة الفلسطينية وهذا يذكرنا بأواخر سورة آل عمران ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تُفلحون﴾ هذه المصابرة وهذه المرابطة تؤدي إلى ما ذكره الله سبحانه وتعالى في آخر الآيات وهو الفلاح في "لعلكم تفلحون" وقد كان في ذلك إثبات واضح عملي لهؤلاء الذين يدافعون عن كرامة الأمة كلها وليس فقط عن الكرامة الفلسطينية على أساس أنه قد ضاعت الكرامة في جميع أنحاء الوطن العربي والأمة الإسلامية كلها، أيضاً قد نجح إخواننا الفلسطينيون في نقل حاجز الخوف من الفلسطينيين إلى الإسرائيليين فالخوف قد انكسر نهائياً، انظروا إلى هؤلاء الأطفال الصغار الذين يهاجمون الدبابات بالحجارة ولا يبالون بشيء كأنهم يهاجمون ألعاباً صغيرة يلعبون بها وكيف يختبئ منهم الجندي الموجود داخل الدبابة فالحجر الذي رماه الطفل عندما رماه الطفل جاء في قاعدة المِدفع فعطل المِدفع عن العمل فاضطر الإنسان المختبئ بداخلها أن يخرج إلى الخارج حتى يحلحل المدفع حتى يستطيع أن يدافع عن نفسه، فحاجز الخوف انتقل إلى الإسرائيليين لأنه لا يوجد إنسان في إسرائيل يرسل أبنائه صباحاً إلى المدرسة وهو يثق أنهم سوف يعودون إليه أحياء. هذه عملية هامة جداً فبدأت من أجل ذلك الموجة المضادة في فلسطين المُحتلة وبدأ الناس يغادرونها أفواجاً كما أتوا إليها أفواجاً، خرافة الجيش الذي لا يُقهر تلاشت، فالبلدان

العربية ما كان لها أن توقع معاهدات سواء معاهدات سلمية أو معاهدات تجارة متبادلة أو ما شابه ذلك لو لم تؤمن بأن هذا الجيش هو الجيش الذي لا يُقهر، الآن أسطورة الجيش الذي لا يُقهر بَطِلت، حطمها هؤلاء الأطفال الصغار حطمها هؤلاء المجاهدون الكبار، انتهت هذه الخرافة، فمن أجل ذلك لا عذر لأي جيش لا يحاول أن يقف بكل قوة في وجه هذا الجيش الذي كان يُظن أنه لا يُقهر، سقط الشعار الذي كان يُنادى به "دعوا الجيش ينتصر"هذا الشعار الذي طرحه....الإسرائيلي وأخذ يتبناه ويدافع عنه، فالجيش لم يستطع أن يفعل شيئاً أمام الأطفال مع كل ما يفعل من وحشية مع كل هذا التدمير للمنازل مع كل هذا التقطيع للزيتون مع كل هذا التقطيع للزيتون مع كل هذا التجريح للأراضي الزراعية وهذا الأمر لو حصل جزء من المليون منه من قِبَل عربي أو مسلم لقامت الدنيا ولم تقعد حفاظاً على البيئة وحفاظاً على الثروة النباتية وحفاظاً على الثروة الحيوانية وحفاظاً على....، كل هذا ولم ينبس أحد ببنت شفه، نصف مليون شجرة من شجر الزيتون دُمرت ولم يتحرك أحد وهذه كل زيتونه منها عمرها مئات السنين إن لم يكن آلاف السنين، البيوت التي تُدمَر يومياً ومع ذلك تجدون مباشرةً بعد أن يُدمر البيت يخرج الأطفال ويقفون على حطام منزلهم ويحاولون أن يتلمسوا أشياء فُقدت يستطيعون أن يستنقذوا منها شيء، حتى صار هذا بالنسبة إليهم من الطقوس اليومية التي يعتادونها، ولذلك كما قلنا حاجز الخوف انتهى نهائياً من الجانب الفلسطيني وهذا الأمر يمثل البداية بداية النصر إن شاء الله صحيح أن الأمر قد يأخذ بعض الزمن والزمن لا يُقاس بالسنوات في أعمار الشعوب، ولكن هذا الاتجاه هو الاتجاه الصحيح هو الاتجاه الذي يجب أن تؤمن به هذه الأمة وتعمل عليه دائماً هذا الاتجاه هو الجهاد، هذه طريقة التعامل مع العدو فالمسلم لا يبدأ بالعدوان أبداً، ولذلك المسلمون في مكة كانت التعليمات التي يتلقونها دائماً ﴿كفوا أيديكم﴾ ﴿وأقيموا الصلاة﴾، كانت هذه التربية لهذه الشخصيات العظيمة التي استطاعت فيما بعد أن تفتح الدنيا بكل هذه الحضارة "كفوا أيديكم"، كانوا يركزون على جهاد النفس لا على جهاد

الآخرين، لكن حينما بدأ الاضطهاد من قِبَل الآخر حينما بدأ العدوان من قِبَل الآخر وُضعت المبادئ الواضحة التي لا تتغير؛ أُذن للذين يُقاتلون بأنهم....، إذَن قضية القتال هذه تحتاج إلى إذْن، فالأصل أن المسلم لا يبدأ بالقتال، أذن الله لهم بالقتال ثم بيَّن لهم حدود هذا القتال "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" كل هذه الأشياء حُددت في الآيات التي حددها الإسلام بالتعامل الواضح التي حددها النبي ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده لا تقتلوا وليداً ولا امرأةً ولا شيخاً كبيراً ولا راهباً في صومعته ولا حيواناً ولا نباتاً كل هذه القواعد والضوابط لعملية الجهاد الإسلامية ينساها الآخرون ويستهين بها الآخرون وانظروا إلى هذه الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط كما يُقال كيف تتعامل في فلسطين مع كل البشر والحجر والشجر والحيوان بهذا التعامل الحضاري الذي ينشدوه جميعاً بل انظروا لهذه الديموقراطية العظمى في العالم التي تتحدث دائماً وتتشدق بأنها سوف تجلب الديموقراطية معها لهذه البلاد المتخلفة هذه الديموقراطية التي نشاهدها كل يوم على التلفاز في العراق وإذا كانت هذه هي الديموقراطية التي ينادون بها فمرحباً بها وأهلاً.

أردت أن أقول أن هذا اليوم هو يوم الاحتفال بعيد الجهاد الرابع بعيد النصر إن شاء الله القادم قريباً لأن النصر يتحقق حينما ينتصر الإنسان على نفسه حينما ينتصر الإنسان على الخوف حينما يبدأ بالانتصار على العدو ولا يتراجع أبداً، وقناديل الشهادة المُعلقة؛ أمامنا أرواح الشهداء في قناديل خُضر مُعلقة بالعرش، هذه القناديل التي نراها باستمرار رجالاً ونساءً وشباناً وكباراً وأطفالاً هذه هي التي تبعث في نفوسنا الأمل بأن النصر آتٍ إن شاء الله وما ذلك على الله بعزيز، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان بالعالم الإسلامي وانصرهم على عدوك وعدوهم اللهم ائت أعدائنا من حيث لم يحتسبوا واقذف بقلوبهم الرعب اللهم هؤلاء المتكبرين المتجبرين، أنت الجبار وأنت قاسم الجبابرة اللهم اقسمهم اللهم أدر الدائرة عليهم اللهم انصر أوليائك المؤمنين المتقين المصابرين المرابطين المجاهدين إنك على كل شيءٍ قدير.

نعود إن شئتم لمتابعة بعض ما....في لغة القرآن الكريم، فقد قلنا قبل هذه المرة – وأنا لا أمل من إعادة ذلك – هذه الفجوة التي حصلت بين اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وبين وضعنا الحاضر اللغة التي نفهمها الآن بل وان هذه الفجوة بدأت منذ صدر الإسلام لأن الناس أخذوا يستعملون كثيراً من المصطلحات في غير موضعها أو أن المصطلح كان له أكثر من معنى فأخذوا يستعملونه لأكثر من معنى لكن حينما نقرأ القرآن أو حين نستمع إلى الحديث الشريف فينبغي أن نستعمل هذه الكلمات فيما وُضعت له، فمن أجل ذلك يجب أن نحرر هذه المسائل، فأبو عمرو بن العلاء وهو من أعلم الناس بلسان العرب وقد تُوفي سنة 140 بعد الهجرة أو....، يقول أن اللسان الذي نزل به القرآن وتكلمت به العرب على عهد النبي ﷺ عربيةٌ غير هذه العربية التي نتكلم بها، هذا الكلام قاله أبو عمرو بن العلاء سنة 140 بعد الهجرة ونحن الآن سنة 1427، فلذلك ينبغي دائماً أن نعود ونحرر هذه المصطلحات كلما استطعنا إلى ذلك،....المصطلحات مهمة جداً وقد بدأ أخي الحبيب الدكتور محمد العوّا بالحديث عن هذه المفاهيم، وأنا أحب أن أضيف بعض الهوامش التي تتعلق من الناحية اللغوية بكلمة "الوسط"، الوسط من المفاهيم الأساسية جداً إن لم يكن المفهوم الرئيسي الذي يقوم عليه الإسلام، وهذا ما فهمه المسلمون منذ البداية وما ألحّ عليه النبي ﷺ وكذا الخلفاء الراشدون من بعده وعُبِرَ عنه بأكثر من مصطلح كلها مصطلحات متقاربة يمكن إذا حاولنا أن نعود إليها أن نتذكر بعض هذه المفاهيم والمعاني، المصطلح الآخر الذي هو مقارب جداً لمصطلح "الوسط" هو مصطلح "الحنيف" فهذا المصطلح قريب جداً من مصطلح "الوسط"، وأنا في اعتقادي أن من أبلغ الكلمات في تحديد مفهوم الوسط وأهميته في الإسلام هو ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في خطبته يوم بويع للخلافة قال: "اليمين والشمال مضلة والوسطى الجادّة"؛ جملة بسيطة ومفهومة لا مجال للالتباس فيها فاليمين والشمال مضلة إذن فالطريق المستقيم الصراط المستقيم الذي لا يتبعه الضالون هذا الصراط المتوسط بين أقصى اليمين وأقصى الشمال، وطبعاً

هو لا يعني باليمين والشمال مجرد الأماكن المتقاربة وإنما قد يقصد بذلك أقصى اليمين وأقصى الشمال يقصد الغلو الشديد أو الجفاء الشديد، وإلا كل طريق له يمين وله شمال ويمكن ما دام الإنسان يمشي في نفس الطريق يمكن أن يمشي في أيٍ من جانبي الطريق ولكنه....حدود الطريق أما مجرد أن يتجاوز هذه الحدود من ناحية اليمين أو من ناحية الشمال تبدأ هنا عملية الـ....، فهذه الجملة العظيمة التي ذكرها سيدنا عليّ "اليمين والشمال مضلة والوسطى جادّة"، طبعاً سيدنا علي هو أحد الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا سيدنا رسول الله ﷺ بأن نعض على سنته وسنتهم بالنواجذ، وهذا الأمر يغفل عنه الكثيرون فالكثيرون لا ينتبهون إلى أن سنّة الخلفاء الراشدين هي كسنّة النبي ﷺ بهذا الحديث المعروف حديث العرباض بن....المتفق عليه في الصحيحين "... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعةٍ ضلالة ..."، فلم يعتبر سنّة الخلفاء الراشدين المهديين من المحدثات التي هي بدعةٌ وضلالة فمحدثات الخلفاء الراشدين هي إتمام أو استمرار لسنّة النبي ﷺ إنما المحدثات هي التي أحدثها غيرهم أما الذي أحدثه الخلفاء الراشدون فهو من سنّة النبي ﷺ، ومن هذا على سبيل المثال - وهذا من جملة الأمور التي تسبب بعض الالتباس – الأذان الثالث الذي زاده سيدنا عثمان على....في الأصل كان الأذان يؤذن مباشرةً أمام....والأذان الثاني هو إقامة الصلاة لكن عندما كَثُر الناس لم يعد بالإمكان أن يصل إليهم الأذان فعند ذلك زاد سيدنا عثمان أذاناً ثالثاً وهو في الحقيقة الأذان الأول لكن يُسمى الأذان الثالث لأنه زيد على الأذانين فكان يذهب إلى هذا المكان المرتفع وينادي ليسمعوا الناس ويأتون إلى الصلاة، طبعاً هم يحتاجون إلى مدة حتى يصلوا إلى الصلاة ثم بعد ذلك يصعد الخطيب على المنبر ويُؤذّن أمامه الأذان الذي كان الأذان الثاني ثم أصبح الآن الأذان الثاني وتُقام الصلاة. كثير من الناس الآن لا يقبلون بهذا الأذان وإنما يصرون بأنه يجب أن يصعد الخطيب على المنبر وأنهم يؤذنون مباشرةً ولا يؤذنون أذان آخر ويظنون أنهم بذلك يلتزمون السنّة، نعم هم

يلتزمون السنّة هم فعلوا كما كان يُفعل في أيام النبي ﷺ وأبي بكر وعمر، ولكنهم إذا فعلوا كما كان يفعل باقي الناس لأصابوا السنّة أيضاً لأن سيدنا عثمان هو الخليفة الراشد الثالث وسنته نحن مأمورون بأن نعض عليها بالنواجذ، وهذا مجال لبعض الخطأ الذي يصيب بعض الناس وقد أحببت أن أشير إليه ولو أنه هامش لا علاقة له بالموضوع لأذكّر بهذه الناحية المهمة وهي سنّة الخلفاء الراشدين. هذا القول المأثور عن أحد الخلفاء الراشدين المهديين يرسم للمسلمين طريق الصواب و....الهدى ويبين لهم أنهم لا خير لهم في يمينٌ وشمال وهذا أحد الدروس التي ألقاها النبي ﷺ وكان معه وسائل إيضاح، كثيرة هي الدروس لو حاولنا أن نتقصاها كيف كان النبي ﷺ يلقي درساً ومعه سر الإيضاح أي يرسم ما يتحدث عنه فمن جملة هذه الدروس خطّ رسول الله ﷺ خط وقال هذا صراط الله ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وشماله وقال هذه السبل وعلى كل سبيلٌ منها شيطان ثم تلى قوله تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلي﴾، هذا الدرس فيه وسائل إيضاح شاملة من النبي ﷺ وهناك كثير من هذه الدروس التي ألقاها النبي ﷺ وهو يشرح أو يرسم أو يبين حتى بحركات اليدين أحياناً كيف يتمثل المسلمون تمثلاً حقيقياً من هذه الأحاديث مثلاً أيضاً خطّ النبي ﷺ خطاً وقال هذا هو الإنسان ثم خطّ خطاً بعيداً وقال هذا أمله ووضع مربعاً أو مستطيلاً حول الخط الأول وقال هذا عمله ليبين أن الأمل بعيد جداً فهو خارج عن نطاق العمل المهم هو العمل الذي يعمله الإنسان أما الأمل فلا بأس أن يتجه إليه ولكن يبقى العمل هو الأمر المهم، كثيرةٌ هي الأمثلة ولكن من هذه الأمثلة أن رسول الله ﷺ خطَّ خطاً وقال هذا صراط الله ثم خطّ خطوطاً عن يمينٍ وشمال وقال هذه السُبُل وعلى كل سبيلٌ منها شيطان ثم تلا قوله تعالى ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيلي﴾، هذه عبَّر عنها سيدنا علي رضي الله عنه بقوله "اليمين والشمال – هذه السبل عن يمينٍ وعن شمال - مضلة والوسطى الجادة" إذن صار لدينا الصراط المستقيم والوسطى، طبعاً نحن ندعو ربنا عزَّ وجلّ سبع عشرة مرة

كل يوم أن يهدينا هذا الصراط المستقيم، طبعاً استهداء الله عزّ وجلّ والاستعانة به لنبقى على هذا الصراط المستقيم أمر مهم جداً ولكنه يدلنا أيضاً على أنه ليس من السهل أن يلتزم الإنسان على الصراط المستقيم ولذلك هو يستعين بالله عزّ وجلّ كل هذا العدد من المرات كل يوم بحد أدنى سبع عشرة مرة "اهدنا الصراط المستقيم" لصعوبة البقاء على هذا الصراط المستقيم والتزامه وهذا بالابتعاد عن اليمين والشمال الابتعاد عن كل غلوّ وعن كل جفاء عن كل إفراط وعن كل تفريط عن كل شطط وعن كل تقصير؛ كلاهما أقصى اليمين أو أقصى الشمال كلاهما أمر غير مقبول وهو مخالفٌ لحقيقة الشرع. ومن أقوال سيدنا عليّ ﷺ الجميلة أيضاً يقول "خير الناس هذا النمط الأوسط؛ يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي" أي أنه إذا أحد تقرب بالزيادة يرجع إليهم وإذا أحد قصّر يلحق بهم، أما هذا النمط الأوسط هو خير الناس وينبغي أن يُقتدى به، والحسن البصري شيخ التابعين أو أحد مشايخ التابعين يقول "والسنّة والذي لا إله غيره بين الغالي والجافي بين المشتط والمفرط وبين المقصر احرصوا عليها رحمكم الله فإن أهل السنّة كانوا أقل الناس فيما مضى –حسن البصري الذي يقول هذا الكلام- وهم أقل الناس فيمن بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ولم يذهبوا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله...."، إذن هذا المفهوم كان واضحاً جداً عند الراشدين وعند التابعين ومن أجل ذلك يجب أن نحاول أن نؤكد عليه دائماً وبلورة هذا الأمر الصحيح، التزام هذه الجادّة الوسطى، التحنّف أي التباعد عن اليمين والشمال وهذا هو مفهوم مصطلح "الوسط" أو "الوسطى" أو "الصراط المستقيم" المصطلح الثالث هو "الحنيفية" أو "التحنف" هذا ما يُطلق عليه اسم الحنيفية في مصطلح الناس و"الحنيف" كثير من الناس يخطئون فهم يسمعون أن اسم الأحنف الذي هو مُعوَّج الرِجل فيظنون أن هذا هو أصل المعنى، لكن أصل المعنى في الحنيف هو المستوي، فالأحنف سُميَ كذلك تفاؤلاً، والعرب تفعل ذلك من قبيل التفاؤل فالذي تلدغه الحيّة يُقال عنه سليم لا يُقال عنه لديغ تفاؤلاً لأنه سوف

يَسْلُم وينجو، فكذلك الأحنف يسمونه كذلك تفاؤلاً، والأصل في الحنيف هو الطريق المستقيم أو هو الجادّة المستقيمة، والشاعر يقول: تعلم أن سيهدينا إليكم .. طريقٌ لا يجور بنا حنيفاً ، أي طريق مستقيم هو الذي سيوصلنا إليكم فكلمة الحنيف هو المستقيم، وربنا تبارك وتعالى أطلق لفظة الحنيف على الطريق وعلى الإنسان الذي يسلك هذا الطريق في مثل قوله: ﴿مِلّة إبراهيم حنيفاً﴾ والتي وردت في عدة آيات والحديث عن سيدنا إبراهيم وعن حال سيدنا إبراهيم أي حالة كونه حنيفاً، وأيضاً ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾ فالدين هو الحنيف، وسيدنا إبراهيم كان أمة ﴿قانتاً لله حنيفاً﴾ وهنا سيدنا إبراهيم هو الحنيف، ﴿حنفاء لله غير مشركين به﴾ توضيح لأن قضية أن الحنيف هو المستقيم "غير مشركين" فإذا أشرك الإنسان فقد ابتعد عن الخط المستقيم، بالمقابل ﴿مخلصين له الدين حنفاء﴾ فالإخلاص يقتدي أن يكون المرء حنيفاً لا يتطلع إلى يمين أو شمال ولا يشرك بالله يميناً ولا شمالاً، سيدنا رسول الله ﷺ اشتق من صفة الحنيف – فالحنيف صفة سواءً كانت لسيدنا إبراهيم أو أي إنسان متدين من بعده أو إن كان الدين نفسه، فهي صفة للدين أو صفة للمتدين، فرسول الله ﷺ اشتق من هذه الصفة صفة الحنيف اسماً وهو الحنيفية بأن أضاف الياء والتاء في آخر الكلمة وهو ما يسمونه المصدر الصناعي وهذا الشيء متعارف عليه، فكل الأشياء الآن تُشتق به ذا الشكل ولا سيما المذاهب مثل الاشتراكية والشيوعية وغيرهم كلهم يُشتقون بالمصدر الصناعي، فالنبي ﷺ علمنا هذا الاشتقاق من قديم فقال في الحديث الصحيح: "أُرسِلت بحنيفيةٍ سمحة" وصفة السماحة لهذه الحنيفية صفة مهمة جداً وسنعود إليها بعد قليل لأن قضية السماحة تتعلق بالمُثُل تتعلق باللطف تتعلق بالجمال هذه الصفة لهذا الدين، لذلك هذا الدين يجب أن يُعامل دائماً بهذا الشكل وأن يُعبَر عنه دائماً بهذا الشكل الجمالي، لذلك كان النبي ﷺ كان يقول للمسلمين "ليكن أذانك أذاناً سمحاً" فالأذان السمح هو الذي على الفطرة ولتتجاوب معه القلوب وليكون الإنسان مقبلاً على ربه وعلى صلاته لا الأذان الذي يزعج النائم ويزعج الشيخ المسن ويزعج المريض ويرعب

الطفل كما نسمع من مكبرات الصوت المختلفة والمساجد المتقاربة التي يشاغب بعضها على بعض وتستمر هذه المشاغبة لمدة ربع ساعة على الأقل كلها أذانات غير سمحة والنبي ﷺ يقول "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" وهذا إلغاء لمشروعية العمل، بل السماحة مطلوبة في كل عمل من أعمال المسلم لأن الدين هو حنيفية سمحة هذه الصفة الأساسية من صفات هذا الدين، وأن هذه الحنيفية بنص القرآن المُعجِز هي نفس فطرة الله التي فطر الناس عليها، والله سبحانه وتعالى يقول في سورة ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الله عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم﴾، هذا التمازج العجيب بين هذا الدين وبين فطرة الإنسان وبين خلق الله كله في الكون، طبعاً هذا الكلام العظيم الذي لا يستطيع الإنسان أن يستوعب كل معانيه يحتاج إلى وقت حتى يستوعب هذه المعاني ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الله عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم﴾ طبعاً ذلك الدين القيّم يذكرنا بما قلنا "الصراط المستقيم" "الدين الحنيف" "دين الوسطى"، هذا التداخل العجيب مهم جداً وينبغي أن نبقى على ذكر من كيف أن فطرة الإنسان وخلق الله عزّ وجلّ متداخلان تداخلاً عجيباً بهذا الدين القيّم الذي هو دين الله عزّ وجلّ وهو الحنيفية وذلك يقودنا إلى البعد الثاني من أبعاد الوسطية وهو اليُسر فبطبيعة الحال اليُسر يتعلق تعلقاً كبيراً بالسماحة ولذلك فهذه الحنيفية السمحة من ضمن مفهومها قضية التيسير، هذا نجده بصورة خاصة في خواتيم سورة الحج، الله سبحانه وتعالى يقول في آخر سورة الحج: ﴿هو اجتباكم -هو أي الله عزّ وجلّ واجتباكم أي اصطفاكم– وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم﴾ – ملة أبيكم إبراهيم لا حرج – فكان هذا هو البعد الثاني من أبعاد هذه الحنيفية والبعد الأول طبعاً هو أنها الوسطى؛ الصراط المستقيم؛ البعيدة عن أقصى اليمين وعن أقصى الشمال أو عن الغلوّ وعن الجفاء، والبعد الثاني هو هذا اليُسر. ﴿هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ وما هنا للنفي، فقول "ما .. من" معناها...، الله سبحانه وتعالى لم يجعل عليكم حرجاً في هذا الدين أصلاً،

"ملة أبيكم إبراهيم" عاد فربطنا بسيدنا إبراهيم الذي نجد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن أنه كان حنيفاً "ملة إبراهيم حنيفاً"، ﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ – هو أي الله عزّ وجلّ – ﴿هو اجتباكم﴾ و﴿هو سماكم المسلمين﴾ وهذا من نِعَم الله عزّ وجلّ الشيء الذي يجب أن نفخر به إلى يوم القيامة ونعتز به على الدنيا جميعاً فالله سبحانه وتعالى سمّانا المسلمين، ومتى؟ من قبل، ومن قبل يعني في الكتب المُنَّزَلَة من الله عزّ وجلّ على الأنبياء الذين سبقوا "وفي هذا" يعني في هذا القرآن، فالله سبحانه وتعالى سمّانا المسلمين في التوراة وفي الإنجيل وفي صحف سيدنا إبراهيم وفي كل الكتب السماوية سمّانا المسلمين هنالك وفي هذا القرآن سمّانا المسلمين، لماذا سمّانا المسلمين ؟ عندما نتابع الآيات نجد ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس﴾، هذه الآيات من أروع الآيات – كل القرآن طبعاً رائع –، لكن هذه مهمة جداً خاصةً قوله "ليكون الرسول عليكم شهيداً وتكونوا شهداء على الناس" إذن الله سبحانه وتعالى هو الذي اصطفى هذه الأمة واختارها وشرّفها بحمل رسالته وجعلها أمةً وسطاً وجعل رسالتها رسالةً وسطية، فإذا اتبعنا الاشتقاق النحوي للنبي ﷺ في اسم "الحنيفية" المُشتَق من صفة "الحنيف" فنشتق من صفة "الوسط" في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً﴾ اسم "الوسطية" والوسطية هي هذا الصراط المستقيم جعل رسالتها رسالةً وسطية وكان من أعظم آيات هذه الوسطية أن لم يجعل عليكم في الدين من حرج ووسع لها دينها توسعة ملة أبيها إبراهيم الحنيف، المسلم صاحب الملة الحنيفية السمحة ملة أبيكم إبراهيم، والله سبحانه وتعالى هو الذي أطلق على هذه الأمة ذات الملة الوسطية السمحة اسم المسلمين من قبل – أي في الكتب السابقة – وفي القرآن الكريم، كل ذلك من أجل أن يكون الرسول شهيداً علينا ونكون شهداء على الناس، ممكن أن أذكركم ببعض ما قلت منذ زمن في أني أحب أن أركِّز في مفهوم الوسطية على أن العربي القديم كان يفهم هذه المعاني كما أُنزِلَت، ولذلك جاء أحد الأعراب إلى حسن البصري فقال له "علمني ديناً وسوطاً – ووسوطا يعني

متوسط مثل ركوبا وحلوباً - لا ذاهب الفروط ولا ساقطاً سقوطاً" وهذا الأعرابي لأنه بادي يفهم أن هذا الدين مختلف تماماً عن الأديان الأخرى ولذلك وصفه مثل هذا الوسطي يعني هو ليس فيه غلوّ متقدم فيه ولا فيه تأخر بالجفاء عنه بحسب ما قاله هذا الأعرابي "خير الأمور أوساطها" وهو نص حديث لرسول الله ﷺ، والانحراف عن هذه الحنيفية السمحة كما قال النبي ﷺ على كل سبيلٍ منها شيطان وهنا نستذكر الحديث الذي أحب أن أكرره كثيراً - والحديث رواه مسلم عن عياض بن....-: "يقول الله عزّ وجلّ إني خلقت عبادي حنفاء" كما رأينا في قوله تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، إذن فالله سبحانه وتعالى خلق العباد حنفاء أي أن أصل كل عبيده حنفاء "إني خلقت عبادي حنفاء وإنهم جاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم – أي حولتهم عن دينهم – وحرمّت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنَزِّل به سلطاناً" انظروا إلى معنى الحديث الـ....؛ الله سبحانه وتعالى خلق العباد حنفاء، جاءتهم الشياطين فما الذي فعلنه؟ بعد أن استمعوا إليها وأطاعوها، اجتالتهم عن دينهم أي حولتهم الطريق الوسط فكما قلنا كل سبيل عليه شيطان فـ....، لكن كيف كان هذا التحويل ؟، بأن حرّمت عليهم ما أحللت لهم، فكم هو جُرم كبير أن يُحرِّم الإنسان ما أحل الله، ونحن مع الأسف الآن أسهل شيء علينا التحريم، اسألوا أي إنسان عن واقعة بين الحرام بكل بساطة....،﴿....حرّمت عليهم ما أحللت لهم –وقرن ذلك ربنا عزّ وجلّ بماذا ؟ بالشرك- وأمرتهم أن يُشركوا بي ما لم أُنَزِّل به سلطاناً﴾ فقرن ربنا عزّ وجلّ تحريم الحلال بالشرك وهذه من الأمور المخيفة جداً، وطبعاً هذا الحديث الذي ذكره النبي ﷺ له نظير في القرآن الكريم فالله سبحانه وتعالى يقول في سورة الأنعام ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولا حرّمنا من....من شيء﴾ أيضاً نجد هنا أن الله عزّ وجلّ قرن الشرك بتحريم الحلال، فلنُحِط كيف أن الخروج عن هذه الحنيفية هو خروج من دائرة الحلال إلى دائرة التحريم والخروج من دائرة اليُسر والسهولة إلى دائرة الحرج والضيق، ولذلك قضية

تحريم الحلال من الأمور التي يجب أن نكون مصرين عليها ومدافعين عنها بكل وضوح لأن الأصل في الأشياء الحِل فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾ فما خلقه لنا قد أباحه لنا إذن الأصل في الأشياء الإباحة والحِل، وهذا من الذي نصّ عليه ؟ ربنا عزّ وجلّ، فأي تعديل يطرأ على هذا الحِل يجب أن يصدر بقانون أو بمرسوم من قِبَل الله عزّ وجلّ ليس لأحد حق أن يُحرّم ما أحل الله عزّ وجلّ أبداً وإلا فإنه ينازعه مُلكه، وهذا الذي ذكره النبي ﷺ لعديّ بن حاتم وهو كان نصرانياً حينما جاء ليُسلِم سمع النبي ﷺ يقرأ قوله تعالى "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله" فقال "يا رسول الله نحن ما عبدناهم"، قال "أليسوا قد أحلوا لكم الحرام وحرموا عليكم الحلال فاتبعتموهم"، قال بلا، قال "فذلك عبادتكم لهم"، لأن تحريم الحلال من صلاحيات الله عزّ وجلّ وحده ولا يحق لأحد أن يتجرأ على هذا الحق، الله سبحانه وتعالى بطبيعة الحال حرّم على بعض الأقوام السابقة بعض الأشياء التي كانت حلالاً والتي أصبحت حلالاً مثلاً عقوبةً لهم، فالله سبحانه وتعالى يقول على الذين هادوا ﴿حرمّنا كل ذي ظُفُر﴾ –أي الحيوانات التي لها أظفار أو حوافر- ﴿ومن البقر والغنم حرمّنا عليهم شحومهم إلا ما حملت ظهورهم أو الحوايا -يعني الأمعاء- أو ما اختلط بعظم –لماذا ؟- ذلك جزيناهم ببغيهم﴾ إذن الله سبحانه وتعالى حرّم عليهم هذه الأشياء لأنهم بَغَوا فإذن الله سبحانه وتعالى قد يُحرِّم عقوبةً عليهم لكن الله سبحانه وتعالى وحده الذي يُحرِّم ولا ينبغي لأحدٍ أن يُحرِّم، وبفضل الله عندما جاء هذا النبي الخاتم جاء ليرفع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم –والله عزّ وجلّ الذي يقول ذلك الكلام- فلذلك الله سبحانه وتعالى أعاد تضييق دائرة الحرج، فقه المحرمات بالنسبة إلينا قليل جداً فإذا حاولنا أن نعدّ المحرمات مثلاً في المطاعم ﴿قل لا أجد فيما أُوحيَّ إليّ محرماً على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتاً أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير....﴾ هؤلاء الأربع فقط: الميتة والدم والخنزير وما أُهِلَّ لغير الله وهذا ورد في أربع مواضع من القرآن الكريم وأحدها الذي ذكرت ﴿قل لا أجد فيما أُوحيَّ إليّ محرماً على طاعمٍ

يطعمه...﴾ لذلك وردت بعض النواهي في السنّة المُطهّرَة عن بعض الأمور الإمام مالك يعتبرها مكروهات لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿لا أجد فيما أُوحيَّ إليّ محرماً ..﴾ ومنه كل ذي ناب من السباع وكل ذي ناب من الطيور. فالله سبحانه وتعالى ضيّق دائرة الحرام لكل ما يعود بالضرر على الإنسان وهذا الشيء مُتَوَقع لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد التضييق.

**سؤال: ....**

بالنسبة للمحرمات يعتبرها فقط التي ترد في نص قرآني، ولكن النبي ﷺ نهى عن كل ذي نابٍ من السباع يعني الحيوانات اللاحمة كلها مثل الأسد والكلب والنمر، وعن كل ذي مخلبٍ من الطير فأيضاً الطيور الجوارح نهى عنها النبي ﷺ مثل الصقر والنسر، الإمام مالك يقول نهى يعني....

**سؤال: ....**

.....مذهب الإمام مالك يقول أنها مكروهة، طبعاً مكروهة وليس معناها أنه يشجع عليها لكن غير محرَّمة فباب الحرام منصوص عليه في الآية ﴿لا أجد فيما أُوحيَّ إليّ محرماً على طاعمٍ يطعمه إلا ....﴾ هذه الأشياء الأربعة، كنت أقول أن دائرة الحرام تركزت بصورة رئيسية فيما هو ضار بالفرد وبالمجتمع وهذا يأتي بنا إلى تعبير من التعبيرات المهمة جداً والتي يُخطئ كثير من الناس في فهمها وهي كلمة "الإثم"، فما هو معنى كلمة إثم فليس معناها الذنب أو المعصية، فالأصل دائماً أن نعود بالكلمات فنفسر القرآن بالقرآن إذا استطعنا فأول ما نفسر القرآن بالقرآن، وهنا الله سبحانه وتعالى يقول ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ فالله سبحانه وتعالى وضع الإثم مقابل النفع ومقابل النفع طبعاً الضرر فالإثم هنا يعني الضرر ما يضر الفرد أو يضر المجتمع هذا إثم. ورب العالمين أيضاً يقول ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ يعني أيضاً لو كان هذا الضرر غير ظاهر أيضاً لا يجوز أن يقربه الإنسان، فلهذه

الدرجة ربنا عزّ وجلّ يحرِّم كل ما يضر الفرد ويضر المجتمع، ولذلك كثير من الناس في هذا العصر يقولون أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم الخمر تحريماً أي أنه لم يأت بنص التحريم، لكن على العكس من ذلك جاء نص التحريم في قوله ﴿قل إنما حرَّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم﴾ فالله سبحانه وتعالى حرّم الإثم وقال على الخمر إثم في ﴿... الخمر والميسر فيهما إثم كبير﴾وهذا نص على التحريم فهي وردت بصيغة التحريم بالإضافة إلى ذلك وردت بصيغة الاجتناب التي هي أقوى من التحريم لأنه عند ذلك ربنا سبحانه وتعالى قرنها بالشرك وكل ما يُقرَن بالشرك فهذا أشد الأشياء تحريماً فقال تعالى ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ فقرن الأنصاب والأزلام بالخمر والميسر وأنها رجس من عمل الشيطان وقال "فاجتنبوه" والاجتناب أقوى من التحريم فلذلك الاجتناب معناها أن نتجنب كل ما يتصل بالخمر من قريب أو من بعيد لذلك لعن اله الخمر وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه أي كل الدوائر التي يمكن أن تخص الخمر، فهذا الاجتناب الذي لكن هذا شيء وأنها وردت بلفظ التحريم فنعم بالطبع هي وردت بلفظ التحريم، لكن كما قلنا لا يجوز أن نعتدي على سلطة الله في التحريم فلا يجوز أن نحرِّم ما لم يحرِّمه الله عزّ وجلّ. الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وقد فصّل لكم ما حرم عليكم﴾، إذن كل شيء محرم يجب أن يكون مفصلاً تفصيلاً فإذا ورد بنص مجمل أي أننا نستنتج ذلك استنتاجاً فهذا يجب ألا نعده محرماً لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وقد فصّل لكم ما حرم عليكم﴾، فالشيء يجب أن يكون مُفصلاً، لذلك مثلاً عند تناول الحديث الموجود في صحيح البخاري "يكون من أمتي قومٌ يستحلون الخمر والحرير ويُعزف على رءوسهم بالمعازف ....."، فالناس يحرمون ما ورد باسم المعازف في هذا الحديث وأنا لا أعتقد أن المعازف مقصود بها أدوات العزف لأن هذا الشيء كان مُستعمل في ذلك الوقت فهذه من الكلمات المُستحدثة، وحتى لو كان كذلك فهذا نص مُجمل ليس فيه نص على تحريم هذه المعازف ولذلك ما دام لم يأتي مُفصلاً فلا يمكن أن يكون

مُحرِّماً فضلاً على أن هذا الحديث كما يقول علماء الحديث حديث منقطع لأن الإمام البخاري في هذا الحديث فقط من غير باقي الصحيح يقول قال هشام بن عمّار ويذكر الحديث، فبرواية هذا الحديث هذا يعني أن هذا الحديث منقطع، أي لم يتصل بينه وبين هشام بن عمار، صحيح أن هشام بن عمار هو شيخ البخاري ومعظم الأحاديث التي في صحيح البخاري يرويها البخاري عن هشام بن عمّار، ولكن فيها جميعاً يقول حدّثني هشام بن عمار أو حدّثنا هشام بن عمار إلا في هذا الحديث يقول قال هشام بن عمّار، لكن "قال" هذه تعني أنه سمعه أم لم يسمعه؟ الله أعلم، فيمكن أن يكون هناك من ذكر له أن هشام بن عمار قال لأنه لو سمعه منه لقال حدّثني هشام بن عمار، فالحديث فيه أكثر من عِلّة لكن العِلَّة الأساسية أنه تحريم غير مُفصل والتحريم يجب أن يكون مَفصَّل لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وقد فصّل لكم ما حرم عليكم﴾ وهذا من نِعم الله عزّ وجلّ لأن القضية لو كانت للعلماء لكان كل واحد يُحرِّم كما يشاء فالناس ميالون إلى التضييق على أنفسهم وإلى التشديد على أنفسهم ولذلك قال ربنا عزّ وجلّ للرسول ﷺ وللمسلمين في سورة الحجرات: ﴿واعلموا أن فيكم رسول الله لو أيطيعكم في كثيرٍ من الأمر لعنتّم﴾ والعَنَت يعني المشقة، فكان الأمر شَقَّ عليكم كثيراً لو النبي ﷺ أطاع آرائكم بهذا الموضوع لكن من نعمة الله عزّ ووجلّ أن الشريعة مُحددة وهو لا يطيع هؤلاء الناس بحسب أهوائهم ولذلك ليس هناك تشديد ويقول الله عزّ وجلّ أيضاً ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ فلو رب العالمين أراد أن يعنتنا فمن السهل عليه أن يعنتنا لكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يعنتنا فبالعكس هذا العنت شيء لايقبل به الله عزّ وجلّ ولا يرضاه، من أجل ذلك عدّ النبي ﷺ من أعظم الناس جرماً من سأل عن شيءٍ لم يُحرَّم فحُرِّم من أجل مسألته لذلك لاحظوا أن النبي ﷺ قال "يا أيها الناس إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا" فسأله أحدهم "أفي كل عامٍ مرة يا رسول الله" فسكت فأعادها حتى قال رسول الله ﷺ "ذروني ما....، لو قلت نعم لوجبت –﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾- ولو وجبت لما استطعتم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة

مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم فما نهيتكم عنه فدعوه وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم" يقول الإمام ابن حزم في التعليق على هذا الحديث لقد جمع هذا الحديث أحكام الدين أولها عن آخرها ففيه أن ما أمر به النبي ﷺ فهو فرض "ما أمرتكم به فخذوه" وما نهى عنه فهو حرام وما سكت عنه فلم يأمر به ولم ينهى عنه فهو مُباح وأن ما أمرنا به فإنما يلزمنا منه ما نستطيع فقط "فأتوا منه ما استطعتم" هذا خلاصة الموضوع فإذن ما سكت عنه النبي ﷺ فلم يأمر به ولم ينهى عنه فهو مباح والمباح يجتهد فيه البشر اجتهادهم في أي شيءٍ آخر والحمد لله الذي ضيّق دائرة الحرام....الكبائر، رواية....فالكبائر معدودة على أصابع اليد لا تتجاوزها، هذه هي المحرمات فهي دائرة ضيقة جداً، رب العالمين يضيّق هذه الدائرة جداً فهذه الأشياء الكبيرة هي الضارة الكبيرة؛ الفواحش، الرِّبا، الزنا وهذه الأشياء لكن فيما عدا ذلك يدخل في دائرة المباح ولا يجوز أن يخرج عن دائرة المباح إلى دائرة الحرام. ومن أجل ذلك كان من أجلّ القروبات التي يتقرب بها العبد إلى الله عزّ وجلّ هو إتيان الرخص، لماذا؟ إن الرسول ﷺ يقول: "إن يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه"، وفي رواية "كما يكره أن تُؤتى محارمه"، وفي حديث آخر للنبي ﷺ -وكلها أحاديث صحاح-: "أحبوا ما أحب الله"، فإذا الله سبحانه وتعالى يحب أن تُؤتى رخصه فإن من واجبنا وفرض علينا أن نحب ما أحب الله يعني أن نحب إتيان الرخص، ولذلك تشديد الإنسان على نفسه ليس مطلوب فعندما رأى النبي ﷺ إنسان كبير يحج ماشياً وقالوا له إنه نذر أن يحج ماشياً قال إن الله غنيٌ عن تعذيب هذا نفسه مروه فليركب ولـ....،الله تعالى غنيٌ عن عذابنا ﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ فالله تعالى لا يسره أن يعذبنا فهو سبحانه يريد أن يُيَسر علينا ويحب أن تُؤتى رخصه ويحب أن يخفف عنّا ﴿يريد الله أن يخفف عنكم ...﴾ ، ولذلك هذا الذي فهمه أيضاً علماءنا الكبار وهذا التابعي الجليل سفيان الثوري يقول –وهذه من أجَّل الكلمات من عصر التابعين-: " فأما الفقه الرخصة إنما التشديد فيحسنه كل أحد" فالكل يقول لا يجوز، حرام، لا تأكل هذا ولا تفعل هذا إنما الفقه

الحقيقي هو الفقه الذي يقول هذه رخصة الله عزّ وجلّ، والإمام الشوكاني يقول –وهو من التابعين فهو من المائة الـ....-: "لا يُشرع التنزه عن ترك الحلال فليس في ترك الحلال ورع" فالورع ليس في ترك الحلال وإنما الورع في ترك الحرام فترك الحلال ليس من الورع في شيء، وكما يقول لا يُشرع التنزه عن ترك الحلال لأن الله سبحانه وتعالى أحله لنا أحله لنا، ومن أجّل نِعَم الله علينا أنه قد بعث لنا....بواسطة الرسل والأنبياء ولم يُنزِل علينا الكتب هكذا لنقرأها، فما هو السر في هذا؟ لسر في هذا أن الأنبياء قد بعثهم الله عزّ وجلّ ليكونوا شهداء على الناس، وتعبير "الشهداء" أو "الشهادة" مثل كثير من التعبيرات القرآنية أغنى بكثير من أن يُترجم عنها بكلام من كلام البشر فهذه من التعبيرات التي يصعب علينا أن ترجمتها إلى اللغات الأخرى وهنالك كثير من العبارات القرآنية يصعب أن تُتَرجم إلى لغة أخرى، ونحاول هنا أن نتلمس بعض ما في هذه العبارة من معانٍ جليلة نحاول أن نتلمسها وأنا أريد أن أتحدث عن نقطة واحدة منها الآن وهي التي ذكرتها في....وأنا أسميها ما يُطلق عليه اليوم اسم "معيار ضمان الجودة" فنحن الآن كما نعلم في كل الأمور يركزون على الجودة بأي عمل صناعي أو زراعي أو تجاري أو إنتاج أو طباعة أو غيره دائماً يجب أن نتأكد من سلامة المنتج ودائماً يجب أن نتخذ طريقة لضمان الجودة وهو ما يسمونه "Quality assurance" وحتى نعرف ضمان الجودة يجب أن يكون لدينا معيار وهذا المعيار نقيس بالنسبة إليه فإذا وصلنا إلى هذا المعيار فهذا يعني أن الجودة مضمونة وأما إذا كنّا دون هذا المعيار فهذا يعني أننا مُقصرون، فمعيار ضمان الجودة في الإسلام يُطلق عليه "الشهيد" أو "الشاهد"، وطبعاً الجودة مطلوبة بالنسبة إلينا فالنبي ﷺ يقول: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء" كل شيء بلا استثناء، والإحسان يعني الجودة فالشيء الحسن هو الجيد، فإذا كتب الله تبارك وتعالى الإحسان على كل شيء فيجب كل عمل نقوم به أن يكون عملاً جيداً متقناً "إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه" فهذه الـ quality شيء مهم جداً في عمل المسلم، والحديث في صحيح مسلم، وحتى في القتل حتى في الذبح

"فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" وهذا الشيء الآن يتم بطريقة فظيعة فمثلاً في طريق "إسكندرية" قد أقاموا حديقة حيوان خاصة يأتون فيها بالخنازير للأسود ليأكلوها حيّة ويأتوا بالأطفال ليشاهدوا هذا العمل والآن أصبحوا يأتوا بالحمير بدلاً من الخنازير ويأتون بالحمير في....فبدأ الأسد يأكل الحمار من رجله، وعندما سُألت عن هذا فقلت أن هذا حرام طبعاً قولاً واحداً لأن رسول الله ﷺ يقول: " فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" ولا يجوز طبعاً فعل ذلك، لكن الحديث عمم ذلك "إن الله كتب الإحسان على كل شيء"، وكلمة الإحسان وحدها تحتاج إلى محاضرة. إذن حتى يعرف الناس الجودة المطلوبة فيحققوها فإن الله سبحانه وتعالى فضلاً منه وكرماً بعث إليهم هذه المعايير التي عليهم أن يقتدوا بها، فكل كتاب جمعه رسول وهذا الرسول يطبق هذا الكتاب وبذلك يعرف الناس كيف يجب تطبيق هذا الكتاب فيقتادون ويحاولون بقدر الإمكان أن يقتربوا من هذا الشاهد وبعد ذلك عندما تتحول الأمة كلها إلى الالتزام بهذا المستوى العالي تصبح الأمة كلها شهداء، وهذا ما ذكرناه قبل قليل في الآية ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾،إذن ﴿هو اجتباكم﴾ فالله سبحانه وتعالى هو الذي اصطفانا وهو الذي اختارنا من بين الناس، ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم -هو أي الله عزّ وجلّ سماكم المسلمين من قبل- .....ليكون الرسول عليكم شهيداً﴾، فإذن الأمة كلها بعد حين -وهذا ما حدث في الطبقة الأولى؛ طبقة الصحابة الأولى- كلهم كانوا شهداء على الناس وأصبح على الناس أن يجتهدوا باتباعهم والاقتداء بهم والاقتراب من سنتهم، وربنا عزّ وجلّ عبّر عن هذه القدوة وعن هذا المعيار الذي يجب أن يُتَّبع بعبارات متعددة منها مثلاً "أُسوة" في ﴿قد كان لكم أُسوةٌ حسنةٌ في إبراهيم والذين معه﴾، منها "الأمة" التي يؤتّم بها في ﴿إن إبراهيم كان أمة﴾ يعني أنه كان قدوة أو أسوة يجب أن يُؤتّم به ويتأسى به، منها أيضاً "القدوة" في ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتدوا﴾ فعلينا أن نقتدي بهداهم أولئك الأنبياء الأقدمين ثم لما أكمل ربنا الدين وختم الرسالات جاء بنبيٍ

شاهد وهذه هي المهمة الأولى للنبي ﷺ، ومهام النبي ﷺ مذكورة في القرآن الكريم ومنصوص عليها في سورة الأحزاب "يا أيها النبي إن أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً" –ومنيراً مصدر إلحاح-، إذن المهمة الأولى من مهام النبي ﷺ أن يكون شاهداً وأن يكون قدوة وأن يكون أسوة وأن يكون أمة وأن يقتدي الناس بما يفعل لأن هذا هو الذي يمثل المثل الأعلى الذي يحاول الناس الاقتراب منه. ومن أجل أن تتحقق صفة الشهادة لهذه الأمة ﴿لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ الله سبحانه وتعالى قال ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾، إذن فالوسطية هي الشرط حتى تكون الأمة شهيدة على الناس لأن الأمة التي يُطالب الناس بالاقتداء بها ينبغي أن تكون أمة معتدلة تسلك في حياتها سلوكاً بشرياً سوياً يكون في إمكان البشر أن يحاولوا الوصول إليه أما إذا كانوا سوف يسلكون سلوك الملائكة فهذا ليس في مُكنة البشر أن يقتدوا به، لذلك فهذا الاعتدال في السلوك وهذا المستوى المعتدل هو محور أساسي من محاور الوسطية حتى يستطيع الناس أن يقتدوا بهذا العمل ولا يجوز أن يكون فيه تعثير ينفِّر الناس.

موضوع اليُسر والحرج يحتاج منّا جلسة خاصة إن شاء الله.

**سؤال: ما معنى كلمة الحرج ؟**

الحرج يعني الضيق، عكس الـ....،الله سبحانه وتعالى يقول ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ، وكلمة الوسع تعني الاتساع فتسعه الدنيا كلها فهو يسعه أن يفعل كذا وكذا ... هذا من الاتساع وعكسه الحرج فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ومن يرد أن يُضلِّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعد في السماء﴾ فالحرج هو الضيق وهذا دليل على التباين بينهما فواحد يوجد هناك وسع أو الاتساع والآخر يوجد عنده ضيق أو حرج فهنا يوجد يُسر وهناك يوجد عُسر، وهنا يوجد سماحة وهناك يوجد تشدد، فأيضاً هذه من مجموعات الكلمات ، فكما قلنا اليوم الحنيفية والوسطية والصراط المستقيم والدين

القيّم ﴿وذلك دين القيّمة﴾ أيضاً هذه مجموعة اليُسر ومجموعة العُسر والله سبحانه وتعالى يبعدنا عن العسر وكل ما يتعلق بالعسر.

**سؤال: ....**

هو مُتَّفق على الخلفاء الأربعة وجمهور المسلمين يضيف إليهم سيدنا عمر بن عبد العزيز، لكن أي واحد في الأزمان التي مضت وفي الأزمان التي ستأتي إذا اتبع سلوكهم فهو خليفة راشد، فمثلاً نور الدين وهو....سلوكه كان مثل سلوك الخلفاء الراشدين تماماً، وأيضاً بعض ملوك الهند ونحن مع الأسف لا نتطرق إلى تاريخ هذه البلاد تماماً ولا نقرأها ففي الهند جاءت بعض الممالك المتوالية فيها من الملوك الـ....مجموعة كبيرة من هؤلاء الملوك الأفاضل سيرهم لا تقل عن سيرة الخليفة عمر بن عبد العزيز لكن الأصل المُتفق عليه والشيء الذي لا خلاف عليه أن الخلفاء أربعة والخامس سيدنا عمر بن عبد العزيز هو أيضاً من الخلفاء، ونجد أيضاً أن سيدنا عمر بن عبد العزيز قد سنَّ لنا في خُطب الجمعة –وهذه من سنن الخلفاء الراشدين- أن يقول في آخر الخُطبة: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القُربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون"، وبعض الخطباء لا يقولونها ظناً منهم أنه لا ينبغي الالتزام بهذه الأشياء مع أن النبي ﷺ قال "عضوا عليها بالنواجذ"

**سؤال: ....**

لا عمل الصحابي من أجله، فعمل الصحابي غير عمل الخليفة.

**سؤال: ....**

الصحابي هو من صحبه رسول الله ﷺ صُحبة، وليس من رآه مرة واحدة قبل أن يموت فهذا ليس صحابي.

**سؤال: ....**

نأخذ بأي الأشياء وهذا ما حدث في زمن النبي ﷺ عندما قال لهم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لا يُصلّين العصر إلا في بني قريظة" فبعضهم قالوا أن النبي ﷺ قال لا تُصَلّوا العصر إلا عندما تَصِلوا لبني قريظة فلم يُصلّوا العصر وفاتتهم الصلاة، لكن الآخرين قالوا إن النبي ﷺ قال هذا الكلام حثاً على السرعة وهو لا يريد أن يُضيّع علينا صلاة العصر بوقتها فصلّوا قبل الشمس ثم ذهبوا، فعندما وصلوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فلم يعَنِّف أحدهم قطّ وأقرّ الفئتين على ما فعلوا، إذن ما يفعل الصحابة نحن منه في حرية فنستطيع أن نفعل هذا أو أن نفعل هذا.

**سؤال: ....**

سدّ الذرائع هو مبدأ استنتجه الفقهاء من أجل أن يعللوا بعض الأشياء التي حرّمها الله عزّ وجلّ، فيقولون مثلاً أن الله عزّ وجلّ حرّم الخلوة حتى لا نصل إلى مرحلة الزنا فهذه من بعض الأمثلة على سدّ الذرائع، وبعد ذلك توسعوا هم، ففي البداية كان هذا من أجل تعليل حكم الله عزّ وجلّ ثم حكم النبي ﷺ لكن بعد ذلك توسعوا فيها وأعطوا أنفسهم صلاحية أن يفعلوا بذلك وهو سدّ على المسلمين كثيراً من التيسير و....والأشياء التي ينبغي ألا تُسَدّ، وموضوع سدّ الذرائع من الأشياء التي أضيق بها ذرعاً، وهناك بعض أشياء في الفقه يقولون فيها "من المعلوم من الدين بالضرورة" فهذه الجملة أيضاً لا معنى لها فنحن نعرف أن من الضرورة أن "الضرورات تبيح المحذورات"، فما هي علاقة الضرورات التي تبيح المحذورات بالمعلوم من الدين؟!، هو كلام فلسفي لكن أنا لا أجد له معنى ولا سند، وهل يكفر من ينكر موضوع "المعلوم من الدين بالضرورة" ؟!، وهذا من أعجب الأشياء، فأي عاقل يحب أن يُكفر أعدائه ولكن ليس أصدقائه، فبدلاً من أن نُكّثِر من المسلمين نُكّثِر الكفار بقول هذا كافر وهذا فاسق وغير ذلك ونفرح بأن كل هؤلاء خرجوا من صفِّ المسلمين وأصبحوا أعدائنا، بالعكس فيجب علينا أن نُهدي هذا

الضال ونجد أي كلمة طيبة نكسبه به ونُرجعه إلى صفنا فهذا أفضل ولانفتح أبواب لتشتيت الأمة وتفريقها، وهذا من التشديد ولنكن نحن مع الأسهل.

**سؤال: ....**

لا ليس حرام، الحديث غير متواتر والنبي ﷺ ما جاء بلفظ التحريم "نهى رسول الله عن كل ذي نابٍ من السباع وكل ذي مخلبٍ من الطير"، فالنهي من النبي ﷺ يكون للكراهية إلا إذا جاء دليل آخر.

**سؤال: ....**

لا الأرنب لا له ناب ولا مخلب، وهناك من حرمّوا الضفادع والزلاحف، لماذا ؟! لا أعرف، ولم أجد دليلاً على التحريم حتى الآن، فهم يستسهلون أن يقولوا حرام. لكن النقطة الأساسية التي أريد أن أقولها هنا أن ليس كل أمر جاء للوجوب، حتى في القرآن الكريم كثيرة هي الأوامر التي لم تكن للوجوب -وهذا طبعاً موضوع يحتاج إلى بحث- فمثلاً الله سبحانه وتعالى يقول في سورة البقرة: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾، فمَن مِن المسلمين كلهم مِن أيام الصحابة يُشهِد إذا تبايع، فهل عندما نذهب إلى السوق نأخذ معنا اثنين من الشهود حتى نشهدهم بالمبايعة؟!! بالطبع لا ولا حتى الصحابة فعلوا ذلك، فهذا أمر للإرشاد، فإذا أحب الإنسان أن....فيُشهِد إذا، تبايع حتى بأول السورة ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجلٍ مسمىً فاكتبوه –ثم تأتي التفاصيل- وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل ولا يأبَ كاتبٌ أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق ...﴾ ، وهذا ليس للتشديد فلا أحد من الذين تداينوا يكتبون.

**سؤال: ....**

لا هذه بالتجارة، لكن حتى بالتجارة ربنا يقول: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ ومع ذلك لا أحد يُشهد إذا تبايع، فهناك أوامر للإرشاد وهناك أوامر للوجوب

وخاصةً إذا جاءت مع قرينة فعلى سبيل المثال النبي ﷺ قال: "يا غلام سَمِّ الله وكلُّ بيمينك وكُلّ مما يَليك" فهذا حديث للإرشاد يعني مُستحَب أن الإنسان يُسمي الله ويأكل بيمينه ويأكل مما يليه، لكن في قضية الأكل باليمين جاء حديث آخر فيه "إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله" فهذا نقل هذه الجزئية من الحديث من أمر الإرشاد إلى الحرمة الشديدة لأنهم يفعلوا كالشيطان وعمل الشيطان كله مُحرَّم.

**سؤال: ....**

لا يُكلف الله نفساً إلا وُسعها، فمن الحديث الأصل أن التسمية مُستحبة والأكل مما يلي الإنسان مُستحب، لكن الأكل باليمين أصبح مؤكّد يعني أقرب للسنّة المؤكدة أو الوجوب لوجود قرينة تدل على ذلك.

وطبعاً الأكل باليمين يعني اليمين، فالناس بالبدو كانوا وما زالوا يضعون فليأكل بيمينه ويترك الشمال للقاذورات أو غيرها، وكذلك في الشرب عندما يشرب من الحنفيّة مثلاً....وعندما يشرب من الكأس....هذا ليس له علاقة فالماء موجود داخل الكأس. والله أعلم. عادةً أحاول أن ألتزم لكن أحياناً يُضَّطر الإنسان لغير ذلك، وهناك ناس لا يمكنهم أن يستعملوا اليمين.

وهذا المثال ذكرته لأقول أن هناك شيء اسمه الإرشاد، فهناك أوامر حتى بالقرآن الكريم هي للإرشاد.

**سؤال: ....**

لا،....ولكن الأفضل ألا....، لأن الله سبحانه وتعالى يقول "والذين لا يشهدون بالزور" فهذا الأمر مفروض والمفروض ألا يشهد.

**سؤال: ....**

هذا ليس له علاقة....

**سؤال: ....**

ليس هذا هو الحديث، لكن الحديث "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن فاتقوا الشبهات ..."،

أما قضية حدود الشبهات فهذا موضوع آخر تماماً، فإذا وُجد شبهة في الحدّ فهذه تُعتبر إضعاف للحجة والقرينة التي جعلت إقامة الحدّ واجباً، فمثلاً إذا وُجد أي شيء يخل بأربعة شهود على الزنا فهنا لا يُقام الحدّ، لأن النبي ﷺ يقول: "....الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فخلّوا سبيله فإن الإمام لأن يُخطأ في العدل خير من يُخطأ في العقوبة"، وهذا موضوع آخر أما موضوع الشبهات التي بين الحلال والحرام، فالنبي ﷺ كان يقول هذا الحديث الجميل: "الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس فمن اتقى الشبهات قد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن....فيه ألا وإن لكل ملكٍ حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلُحت صَلُح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب". وطبعاً الحلال بيّن والحرام بيّن من المبادئ التي خلاف فيها إطلاقاً، فالقطة مثلاً تعطيها قطعة اللحم تجلس تأكلها بجانبك أما إذا خطفتها هي تأكلها بعيداً، فحتى الحيوان يستطيع أن يميّز بين الحلال والحرام فالحلال بيّن والحرام بيّن، فالمشكلة في الذي بينهما "بينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس" وهذا يعني أنه يعلمهن قليلٌ من الناس، ولذلك نحن يجب أن نسأل هذا القليل الذي يعلمهن، فلا يوجد شيء مُعلَّق فهو مُعلّق مؤقتاً لحين أن نسأل الذي يعرف، لكن ليس من المفروض أن نجتنب شيء من أجل أننا لم نحاول أن نسأل فيجب أن نسأل أهل الذكر إن كنّا لا نعلم ونعرف إن كان هذا حلال أم حرام بحيث أن دائرة المشتبهات تُضيَّق إلى أقل ما يمكن حتى أمكن أن تتلاشى فهذا أفضل.

**سؤال: ....**

....، كل هذا يجب أن يسأل عنه الإنسان، فالسؤال لازم فإذا علم أنه حرام فهو حرام لكن يكون هذا بنص مُفصّل وإذا اطمأن قلبه إلى أنه حلال فهو حلال، لكن هذه المشتبهات أكثر الناس لا يعرفوها فيجب أن نسأل أحد يعلم حتى لا تكون مُعلّقة لأن وجود أشياء كثيرة مُعلّقَة يتنافى مع اليُسر وهو نوع من الحرج فيجب أن نتخلص منه بأن نسأل العالم.

**سؤال:**

....، مثل ما حرّموا أنواع من الخمور بناءً على القياس على....

لا لم يحرموا بناءً على قياس، فهناك نص "كل مُسكّرٍ خمر"، فهذا لا يحتاج إلى قياس.

والحقيقة أنا أميل -وهذا في موضوعات كثيرة- أن الله سبحانه وتعالى ما أحاجنا إلى القياس في الموضوعات الأساسية، لكن في الموضوعات المعاملات فنعم لأن هذه تستجد بأنواع جديدة من القضايا، أما الأشياء الأخرى فلها نصوص عامة تندرج تحتها كل هذه الأشياء، فالنبي ﷺ يقول: "اجتنبوا كل ما أسكر" فهذا نص يوضح كل الموضوع، كذلك "ألا إن كل مُسكٍ حرام وكل مُخدرٍ حرام –لهؤلاء الذين يأخذون المخدر- وما أسكر قليله حَرُمَ قليله وما خمر العقل فهو حرام" فهكذا كل شيء منه له نص، فإما أن يخمر العقل أي العقل وإما يسكر قليله فكثيره حرام وإما مُخدر حرام فالمخدرات كلها بالنص حرام وإما مسكر حرام، فكل شيء واضح.

**سؤال: ....**

القياس عندما يدخل بهذه الأشياء يخطئون، ففي مسألة تحريم الضفدع هذه قالوا أنه غير معروف إذا كان هذا حيوان مائي أم برّي، فإذا كان مائي....، وإذا كان برّي....، فهو غير معروف إذا كان مائي أم برّي فهو حرام، وهذا

ابتكار في التحريم لهذه الأسباب، والآن بالبيولوجيا أصبحنا نعرف إذا كان حيوان مائي أم برّي، وهذا طبعاً من الغلوّ.

**سؤال: ....**

نعم معظم أحاديث البخاري عن هشام بن عمّار لأنه شيخه المباشر وهو من الفقهاء العظماء.

**سؤال: ....**

لا تتحرج من هذه الأشياء إطلاقاً، فهذا في الإسلام من الأشياء التي يجب ألا نتحرج منها فالله سبحانه وتعالى ذكر في مواضع كثيرة جداً ﴿وقال الذين كفروا﴾ ﴿سيقول الذين كفروا﴾ ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ ﴿وقال الكافرون﴾ ....، ففي مواضع كثيرة جداً ينقل الله تبارك وتعالى كفر الكافرين بنصه وشِرك المشركين بنصه، فلا تحرُّج في هذه الأشياء، وهذا الاتجاه الجديد الآن في أن نحجر على أقوال الناس ولا نسمح لهم بإبدائه هو مخالف لنص القرآن، فالقرآن يذكر أقوال الكافرين، ونحن الآن نمنع هذا الكتاب وهذا الفيلم وهذا الإعلان.

بالنسبة لترتيب الآيات والسور توقيفي، فالنبي ﷺ كان يقول ضعوا هذه الآية قبل هذه الآية بهذه السورة، فكل مواضع الآيات هي مواضع....من النبي ﷺ، لكن كل واحدة لها موضعها،....يأتي في الوقت المناسب بمناسبتها لكن بعد أن توضع بموضعها يُلاحظ أنه من السياق، ولذلك هناك واحد من المترجمين في العصر الحديث اسمه داود....وترجمته من أفضل الترجمات للقرآن الكريم حاول بدايةً أن يرتب الآيات بحسب نزول الآيات فوجد الترتيب غريب، لذلك غيّر هذا الترتيب في الطبعة الثانية وعاد للترتيب الأصلي.

النقطة الثانية أن القرآن الكريم وُضع له ضمانتان؛ الضمانة الأولى.....

انتهى